

تعليمية الخط العربي في المرحلة الابتدائية مهاراته، وخصائصه، ومراحل تعليمه ومعوقاته

د. أحمد بن عجمية

جامعة بحسبية بن بو علي - الشلف (الجزائر)

الملخص:

مارس الإنسان الكتابة إذ أدرك فعاليتها ونجاعتها في التواصل بمختلف أطواره، وأولاهها لذلك الأهمية الكبرى في مختلف مراحل التعليم و عدّها من أول الواجبات الإنسانية وخاصة في مستوى تعلم وتعليم اللغات للناطقين وغير الناطقين بها

الكلمات المفتاحية : الكتابة، الخط، المهارة، الإملاء، التعبير الكتابي، التقويم، العملية التعليمية،

التحريف.

بدأ الإنسان التأريخ لحياته بابتكاره الكتابة، وهذا ما يبرر بجلاء أهميتها في التواصل وفي تدوين الأحداث، وتخيل الآثار، ونقلها من جيل إلى جيل.

ومن هنا نفهم السر الذي حظيت به لدى مختلف الأمم، وفي شتى حقول المعرفة، وبكفّي للتدليل على ذلك اقتران تعريف الأمية لدى كل الشعوب بالجهل بالقراءة والكتابة.

وقد مارس الإنسان الكتابة منذ زمن سحيق، إذ أصبحت وسيلة فعّالة وناجعة في التواصل بمختلف أشكالها، ومن ثم عدّ الاهتمام بها من أوكد الواجبات وبخاصة في ميدان تعلم وتعليم اللغات للناطقين وغير الناطقين بها.

وتتنجلى الأهمية كذلك على حدّ قول الجاحظ (ت 255هـ): "لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكوك، وكل ما قطاع وكل اتفاق وكل أمان وكل عهد وعقد وكل حوار وحلف"⁽¹⁾.

يبين هذا النص أهمية الكتابة في حفظ الحقوق ودرء المفاسد ودحض المتطاولين على هضمها، ويوضح كذلك ربط الخطوط بأصحابها، فقد حاول بعض التبرؤ من الخط إلا أنه لا

يلبث أن يسقط ويعري عن الحقيقة. والكتابة وهي مهارة يدوية حركية وفكرية، وإتقانها يمرّ في رأينا عبر ثلاثة أنشطة هي:

1/ نشاط الخط: يتدرب من خلاله المتعلم على رسم الحروف وتنسيقها.

2/ نشاط الإملاء: يتمرن من خلاله على القواعد ورسمها رسماً صحيحاً.

3/ نشاط التعبير الكتابي: بواسطة هذا النشاط تكتسب مهارة التبليغ الكتابي، غير أن هذا

المكسب لا يتحقق إلا رفعت التعليمية لواءه، وهي من أكثر الحقول المعرفية ارتباطاً بالإنسان المتعلم، وهي مؤسسة من عناصر هامة هي: المعلم والمتعلم والمعرفة ومحتواها.

وأثر الخط والكتابة بارز في العملية التبليغية، ولهذه الأهمية، كان يهتم بالخط ويخططه على المدين القصير والمتوسط وبخاصة في المستويات الدنيا وحرصاً على سلامة مستقبل المتعلم.

تعريف الخط: تأتي كلمة خط بإدغام الطاء للدلالة على معان عديدة، يمكن حصرها بالعودة إلى ما تناقلته المعاجم العربية.

جاء في لسان العرب: (الخط: الطريقة المستطيلة في الشيء، والتخطيط: التسطير، وخط القلم: أي كتب، والخط: الكتابة ونحوها مما يخط)⁽²⁾.

وأما أساس البلاغة فقد أورد في مدخل خطط، خط الكتابة: يخطهنّ، وكتاب مخطوط واختط لنفسه داراً إذا ضرب لها حدوداً للعلم أمّا له، والخطّة من الخط كالنقطة من النقط، وخط وجهه واختطّ: إذا امتدّ شعر لحيته على جانبيه وألزم الخط أي الطريق وفي الأرض خطوط من كلاً وشرك أي طرائق، جمع شراك⁽³⁾.

نستخلص مما سبق أن مصطلح الخط ورد للدلالة على التسطير والحد والفصل والرسم أو نقط توضح مدلولاً في نية المتعلم، وهو ما يذهب إليه ابن خلدون (ت 808هـ) أنّ (الخط رسوم وأشكال حرفية تدلّ على الكلمات الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية)⁽⁴⁾.

ويتفق هذا التعريف مع ما ذهب إليه الجاحظ بقوله: (والتعبير عن المعاني بواسطة الحروف المكتوبة... فالخط أو الكتابة، إذن أحد أنواع الدلالة اللسانية، وظيفته تسجيل الكلام والحفاظة عليه لوقايته من النسيان)⁽⁵⁾.

فالكتابة من خواص الإنسان التي يتميز بها عن الحيوان⁽⁶⁾، وبها يترجم عن الأفكار، ونقلها إلى أماكن بعيدة، وإلى جانب ذلك، فهي ضرب من ضروب الفنون التشكيلية.

وهكذا فالكتابة (الخط) هو الوجه الثاني للفظ (الصوت)، وهو أبقي منه وأكثر وضوحا في الاستمرار مع الزمان والمكان وقد أدى الخط دورا كبيرا في نقل خبرات الأوائل وتراثهم وحافظ على مصادر التشريع من التحريف والتشويه.

مهاراته: كان لتعلم هذه الصناعة ووضع قوانينها أثر على جودتها ومميزاتها التي لا تشاركها فيها صناعة من الصناعات، وضرورة ملحة لتناقل الأجيال سر هذه الحرفة، ولا يحصل النقل من حيل إلى آخر إلا بالتعلم وهذا التعلم يتخذ شكلين على ما أوضحه ابن خلدون: (وليس الشأن في تعليم الخط بالأندلس والمغرب كذلك في تعلم كل حرف بانفراده على قوانين يلقها المعلم للمتعلم، المعلم له إلى أن يحصل له الإحادة ويتمكن في بنائه الملكة، فيسمى مجسدا)⁽⁷⁾.

إن هذه المهارة في هذا المستوى تحصل للمتعلم وفق وضعيتين هما:

1/ التعليم بالقوانين: وفي هذه الحال، ينظر إلى الحروف كوحدة مستقلة في أوضاعها عن الحروف، لأن لكل حرف أحكامه وقوانينه التي يتميز بتميزه عن غيره؛ من حيث الارتفاع والانخفاض عن السطر، ومن حيث وضعه مبتدئا أو متوسطا أو متطرفا، متصلا أو منفصلا، ثم يتم تركيبه مع غيره في نسق خاص، وللخط بها معلمون يرسمون للمتعلم الحروف بقوانين في وضعها، وأشكالها متعرف بينهم، فلا يلبث المتعلم أن يحكم تلك الحروف على تلك الأوضاع.

2/ التعليم بالمحاكاة: يركز في هذه المرحلة على محاكاة الخط من كتابة كلمات جملة واحدة، ويكون ذلك من المتعلم تنفيذا ومن المعلم متابعا له، إلى أن تحصل الملكة للمتعلم، ويتمكن من بناء كلمة فيسمى المتعلم حينئذ مجيدا، وعرف هذه الطريقة معلمو الخط في المغرب العربي والأندلس⁽⁸⁾.

في ضوء الطريقتين السابقتين، ترسم تعليم الخط العربي للمتعلم في السنة الأولى ابتدائي بوصفها سنة انطلاق، والأساس الذي تقوم عليه بقية أطوار التعليم الأخرى، وذلك للوقوف على الجوانب التربوية، لأنها الجانب الأساس في مسار المتعلم، يمكننا من الوقوف على مدى تحقق كفايات التعلم وطبيعة المتعلم وبرامج الخط العربي^(*).

قد يسأل سائل، لماذا نعلم الخط؟ فنجيب إن تعليمه واجب بيداغوجي لأنه أداة اتصال لغوية رمزا، ترتبط ارتباطا وثيقا بنقل الفكرة وعرضها من الكاتب إلى القارئ، وللخط تأثير في نفسية القارئ، فبقدر ما في الخط من حسن العرض ووضوح الكلمات وانسجام وجمال الشكل يتمكن المتعلم من استيعاب المكتوب⁽⁹⁾.

وهكذا يعدّ نشاط الخط من أكثر الأنشطة أهمية للمعلم والمتعلم بوصفه يعود هذا الأخير الاستقامة والثبات ودقة الملاحظة وتربية الذوق والمقارنة الدقيقة والتمييز بين الجميل والقبيح.

ليس في مدارسنا للأسف - من يعي هذه الأهمية، وإن وعاهها، فلا يعطي لها الأهمية التي تستحقها، إن هذه المهمة تتطلب إعداد المعلم الكفؤ والتميز الذي يتولّى يتعلم الخط بحبر وأناة وعن قناعة نابعة من أصالته بالاعتماد على القواعد العلمية والتقنية لهذا الفن (الخط)، والحال هذه، يمكن القول إن نشاط الخط في مدرستنا لا يقوم على منهج معيّن، ويفتقر إلى القواعد العلمية التي تضبطه.

1- تعليم الخط: تتوخى الكتابة العربية نقل المتعلم من مستوى ممارسة اللغة لفظيا إلى مستوى إنجازها كتابة، وذلك من خلال أنشطة: الخط والإملاء والتمارين الكتابية التطبيقية، وبذلك يتمرن المتعلم على الاسترسال في رسم الحروف والكلمات والجمل في أوضاعها الحقيقية واستعمال علامات الترقيم في أماكنها.

وهذا الإجراء يمكن المعلم والمتعلم كليهما من الوقوف على سلامة الكتابة وصحتها من أجل تسهيل نشاط القراءة وعناصرها: الرمز واللفظ والمعنى، فالتعرف على الصور والكلمات وتمييز بعضها من بعض والنطق الصحيح بها، وفهم ما تشير إليه من بعد هو مدلول القراءة للمبتدئين⁽¹⁰⁾.

ويتضح مما سبق، أن القراءة لا تتم في هذا المستوى إلى إذا تحقق الإدراك وحصلت الاستجابة، وهذا بدوره مرهون لمعرفة رموز ومدلول كتابة^(*).

لاحظ معلمو المدرسة أن كثيرا ما يعجز القارئ عن فهم النص المكتوب وإدراك مقاصده، وعلّة هذا القصور نخاله رداءة الخط.

وانطلاقا من هذه الصعوبات تبدأ العناية في تعليم الخط في السنتين: الأولى والثانية من التعليم الابتدائي، ويركز المعلم من خلالها على توفير ما يحققه المتعلم النجاح في اكتساب المهارة⁽¹¹⁾: ومنها:

- العناية بالنماذج الخطية وحسن عرضها على المتعلمين بكتابة النماذج المبكرة وإجادتها حتى يتمكن المتعلم من محاكاة النماذج المعروضة واختيار أحسنها.

- واختيار الطرائق البسيطة في تعليم الخط القائمة على القوانين والمحاكاة.

3- مراحل تعليم الخط العربي: تمرّ عملية تعليم الخط العربي بمرحلتين هي قضاء ممارسة اللغة بمختلف مستوياتها من تنمية مهارة الاستماع إلى مهارة التعرف على المكتوب والمقروء والوصول إلى تدوين اللغة المدروسة.

أولا: المرحلة التمهيدية: يحاط المتعلم في هذه المرحلة العناية التامة، بحيث يجلس إلى جانبه المعلم ليريه طريقة إمساك القلم، كما يساعده على تلوين الأشكال ورسم الخطوط^(*) حتى يتعود هذا الأخير منفردا محاكاة النماذج المرسومة أمامه، فيحقق في نهاية الأمر كفاية التحكم والقدرة على تحريك القلم والجلوس الصحيح، وهو ما يؤهل المتعلم لبلوغ المستوى الثاني من التعلم ورغم الصعوبات التي تعترض العملية التعليمية.

ثانيا: مرحلة التعلّمات الأساسية: تعكس هذه المرحلة جوهر التعلم وغايته وفيها يتعرف المتعلم على الحروف بمختلف أشكالها ووضعياتها الكتابية، ثم ينتقل تدريجيا إلى نقل كلمات ثم جمل، وعليه يتم التركيز في هذه المرحلة على كتابة الأشكال الخطية وفق المجموعات المشابهة.

وتوزع الوضعيات تسهيلا للحفظ والتمكّن من إدراكها عند الحاجة إليها.

وقد تم توزيع تعليم الخط في هذه المرحلة إلى مجالات ست هي⁽¹²⁾:

الجمال	المدة الزمنية	الحروف	الهدف التعليمي
02	شهر كامل حرف كل أسبوع	م.ب.د.ت	كتابة الحروف في مختلف الوضعيات بداية ووسطا ونهاية، وينقل كلمات تتضمنها
03	شهر كامل بمعدل حرفين في الأسبوع	ر.ض.ع.هـ س.ز.ط.ل.ن.ج	تمكين المتعلم من كتابة الحروف في مختلف الوضعيات ونقل كلمات تتضمنها.
04	شهر كامل حرفان في الأسبوع	ش.ص.ء.ح.ف ك.ق.و	يكتب الحرف في وضعياته المختلفة ويتعامل مع جمل تتضمنه
05	شهر كامل حرفان في أسبوع	غ.خ.ث.ذ.ي.ظ.كلما ت وجمل	يكتب الحرفين في وضعياته المختلفة مع نقل جمل تتضمنها.
06	شهر كامل	كلمات وجمل	مراجعة عامة لما تم تعلّمه خطأ وإملاء

خصائص الخط العربي: تتميز الكتابة العربية بجملة من الخصائص هي:

1/ بمينية الاتجاه: تتدرج الكتابة العربية من الوقوف على الخط من اليمين إلى اليسار ولعلّ أبرز

مزايا هذا الاتجاه في الكتابة أنّ الخطاط يبصر بدقة سطر الورقة واتجاه الحروف وكذلك توجيه سير القلم، بينما تنعدم هذه السهولة وهذا التخفيف في اللغات الأجنبية ذات الاتجاه المعاكس؛ لأنّ الخطاط باللغات الأجنبية يلاقي صعوبات جمّة في توجيه مسار الكتابة بسبب استحالة رؤية خط الورقة إلّا بعد انتهاء الكتابة.

2/ خاصية الالتصاق: أي أنّ الحروف تلتصق بعضها ببعض، وليس عليها هيئة تكتب عليها في

انفرادها كاللغات الأجنبية.

3/ ظاهرة التعجيم⁽¹³⁾: المراد من الإعجام تمييز الحروف المتشابهة شكلا وذلك بوضع النقط

على الحروف المتشابهة في الرسم لكي لا يقع اللبس⁽¹⁴⁾ في قراءتها، وذلك خوفا لما يطرأ عليها من التصحيف وهكذا تنفرد الكتابة العربية بظاهرة التعجيم، بحيث يصل عدد الحروف المعجمة، خمسة عشرة حرفا متدرجا من نقطة واحدة في بعض الحروف إلى ثلاث.

4/ تشابه الحروف: تشابه الحروف في شكلها ورسومها وتركيبها من جنس أشكالها، وهذا

التمييز عدّ من الصعوبات التي يقف عندها المتعلم عاجزا، ويزداد الأمر صعوبة عندما تتبادل

الرسوم مواقعها، كأن تأتي بداية أو وسطا أو طرفا غير أنني أرى في هذا التشابه بين الحروف عاملا من عوامل التسهيل والتيسير والتحقيق على الأبجدية العربية ذات الثامن والعشرين حرفا. وهذا التشابه بين الحروف في الرسم، يرسخ عند المتعلم عملية لإتقان وإجادة الكتابة، بينما الاختلاف في الشكل والرسم يجعل المتعلم حريصا على الاهتمام أكثر بأشكالها تفاديا للوقوع في الخلط بينها، ويرسخ هذا التركيز على الاختلاف الأبجدية العربية كتابة وديمومة الحروف في الذاكرة.

مراحل تعليمه: يمر تعليم الخط العربي بمراحل هي:

1/ مرحلة الإعداد: وهي مرحلة تهيئة المتعلم، انطلاقا من نشاط القراءة التي تكون سندا للكتابة، وذلك باستخراج جمل أو عبارات تتضمن الحرف المقرر تناوله، أي الانطلاق من الكل إلى الجزء، وذلك باختيار الجمل وتحديد نوعها وربطها بالصورة.

لماذا هذا الربط بالصورة؟ لأن الصورة ترسخ في ذهن المتعلم، فهو ههنا يربط بين المنطوق (القراءة) والصورة الماثلة أمامه المعبرة عن المنطوق، والمتعلم في هذه المرحلة يتعلق بالصورة في إطار، - ثم ينفرد المعلم بالكلمة المحورية من خلال الجملة، ثم يستخرج الحرف المطلوب تعليمه (15) نحو:

كـ الجملة رقم 1: المعلمة قدام الباب (*).

كـ الجملة رقم 2: هذا علم بلدي (**).

1/ المعلمة: الحرف المطلوب هو: (الميم)، ورد في هذا الاسم مرتين في وسط الكلمة.

2/ علم: ورد حرف (الميم) مرة واحدة في آخر الكلمة.

2- مرحلة بناء التعليم: ترتبط هذه المرحلة بما قبلها، بحيث يسرد المعلم الجملة الأولى، ويقوم بتجزئتها إلى عناصرها الأساسية.

ما هي هذه العناصر؟ هي: (المعلم) - (قَدَام) - (الباب).

لم هذه التجزئة؟ وهذا لتمكين المتعلم من حصر عناصرها والوقوف على أشكالها، ولمقارنة بين الكلمات والتمييز بين الشبه والاختلاف، ثم وضع كل عنصر في إطار خاص،

والغرض من هذا كله إبراز الجوانب الصوتية فيها مخارج الحروف وصفاتها المميزة، وبعدها يلجأ إلى استخراج الكلمة المحورية المتضمنة للحروف المقصودة، وهي ههنا كلمتان: (المعلمة) و(قدام)، وهما كلمتان تتضمنان حرفين شفويين يسهل النطق بهما ورسمهما وسطاً وطرفاً كما يمكن رسم ذلك في الهواء⁽¹⁶⁾ أمام المتعلمين، وكذلك على الألواح، وربط الرسم بالنطق. إن مجهودات كهذه تعزز الفعل التربوي وتمتن الصلة بين المعلم ومتعلميه، وهو ما يمكن هؤلاء من الاستيعاب التام لتعلم الخط بسهولة ويسر.

3- مرحلة استثمار المكتسبات: هذه مرحلة استثمار المعارف بمحاكاة النموذج على الكراريس التي تتضمن نماذج لوضعيات الحرف المرسوم على السبورة، يحاكي المتعلمون النماذج المرسومة، فتبدو صغيرة ثم تتحول تدريجياً إلى أن تصبح كبيرة، ويتشكل ذلك في أذهانهم من حيث البعد والشكل والحجم⁽¹⁷⁾.

وفي هذه المرحلة يتوخى المعلم الحذر عند كتابة النموذج، ويحرص على محاكاة المتعلمين له، ويتأكد من سلامة الخطوط الفردية، ويشجع أصحاب الخطوط السليمة بهدف سير بقية المتعلمين على منوالهم، كما ينبه على الخلل الحاصل في الكتابات.

وإذا تأكد المعلم سلامة ما يخطه المتعلمين، انتقل وإياهم إلى نسخ كلمات وحتى جمل بالطريقة نفسها.

وهذه المرحلة المتبعة في تعليم الخط هي تقنيات النجاح للعملية البيداغوجية.

4- تقييم مهارة الكتابة: يضطر المعلم في كثير من الأحيان إلى إعادة كتابة النموذج، أو يساعد

المتعلم على إمساك القلم ورسم الحرف، وهي مهمة صعبة تتطلب الحضور والتصاق المعلم بالمتعلم، هذا إذا شعر المعلم أن معظم المتعلمين غير قادرين على التحكم في مهارة الكتابة، كما يمكن للمعلم أن يربط نشاط الخط بأنشطة أخرى لها علاقة به كالأشكال والرسم، وذلك للتدريب على تشكيل الحرف بالعجين أو اللجوء إلى القص.

وينصح بتقويم الخطوط الضعيفة، وذلك بتعويد المتعلمين على تذوق الخطوط الجميلة، ولتدعيم عملية التقويم يقدم المعلم نماذج خطية تعلق على جدران الخطوط الجميلة يستشهد بها عند الحاجة أو يشير إليها من حين إلى آخر.

وفي عملية التقويم أثبتت المباريات الخطية بين المتعلمين في مجال الكتابة جدواها في تحسين الخطوط، كما يبقى الاعتماد على المتعلمين المتفوقين في حسن الخط مفيدا في تدعيم نشاطهم وأدائهم وجعلهم نموذجا يحتذى به، وتلجأ المدارس أحيانا إلى إعداد مجلة الحائط، فيها يتبارى المتعلمون بكتابتها بالخط الجميل، وقد تأكدت فعالية هذا النوع من النشاط في تحسين الخط. ما يلاحظ اليوم في مدارسنا هو غياب الكراريس المخطوطة، ويعّد التدرج في التعليم وتيسيره فتحا على المتعلمين، فهذا نهج الشيخ الطاهر الجزائري هو تيسير تعليم الخط وإعطائه لباب العلم دون التعمق بما لا يفيد والأخذ بالتدرج من البصائر إلى المركبات⁽¹⁸⁾.

نماذج تطبيقية لتعليم الخط: تنوزع مراحل تعليم الخط على مراحل أساسية تحتوي على ثلاثين وحدة تعليمية وفق مراحل هي⁽¹⁹⁾:

1/ المرحلة التمهيدية: وتسمى هذه المرحلة بالخريشة، وذلك حين يجد المتعلم نفسه حرا في

كتابة ما يريد، فيرسمه أشكالا ورموزا تعين على الإمساك بالقلم، وتستغرق شهرا كاملا، تقدم فيه أربع (4) وحدات تعليمية، يتهيأ أثناءها المتعلم للاندماج في المحيط المدرسي، ويمارس خلالها الخط تمهيدا للمرحلة الموالية، وتهدف هذه المرحلة:

- تعويد المتعلم مسك القلم.

- وتمكينه من الجلوس الصحيح وتعويده عليه.

- وتدريبه على رسم الخطوط وأشكال هندسية وتلوينها.

ويلجأ المعلم إلى نشاط الرسم والتلوين لتنويع التعلم، وهي وسيلة أثبتت نجاعتها تستثمر اللعب من أجل المرور إلى الكتابة، وهذا الانتقال من مرحلة تلوين الفراغ إلى رسم الخطوط بمختلف الأشكال يبعد الشعور بالملل، ويمكن المتعلم من رسم الخطوط، ففي الأسبوع الأول: "تلون الأشكال الهندسية" وفي الأسبوعين الثاني والثالث: "يدرب على رسم خطوط متنوعة"⁽²⁰⁾ وفي الأسبوع الرابع: "يدرب على رسم الأشكال الهندسية".

2- المرحلة الأساسية: (كتابة الحروف) لعبت المراحل السابقة دورها في تمكين المتعلم المحاط بالرعاية التامة من التحكم، مسك القلم، والتموقع في جلسة صحيحة، ففي هذه المرحلة يزاوج المتعلم بين القراءة بوصفها نشاطا يدرب على فهم الرموز وطريقة النطق بها والكتابة، إذ هما وجهان لعملة واحدة فالمتعلم لا يمارس نشاط القراءة بمعزل عن الكتابة، بل وجب الاستناد عليها لتحقيق مقاصد اللغة.

ومن هنا كانت الكتابة أساس القراءة وعملا مكملًا لها.

3- نماذج تطبيقية لمراحل تعليم الخط: تأخذ نماذج للكتابة وهي:

أ/ حروف الحوض: (الباء، التاء، الثاء).

ب/ وضعياتها: لهذه الحروف ثلاث وضعيات، فهي تكتب في أول الكلمة متصلة وفي وسطها وفي آخرها متصلة ومنفصلة.

ج/ الاتجاهات: تتجه من اليمين إلى اليسار بتشكيل الحوض والنزول من السطر الثاني الرفيق أو أقل منه بقليل تحت السطر الغليظ.

و هكذا نلاحظ من خلال العرض لأشكال الحروف وتلوينها، أن الحرف في القلم الواحد عامل لعدد كبير من الصور، ولكنه يبقى حاملا للفظ الواحد، وهنا تتجلى في الحرف الواحد قيمة بلاغة الخط العربي.

II - معوقات العملية التعليمية: تعتري عملية تعلم الكتابة جملة من المعوقات منها:

1/ التصحيف: التصحيف لغة: الخطأ في الصحيفة⁽²¹⁾، واصطلاحاً يراد به أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراده كاتبه، وعلى غير ما اصطلاح عليه في تسميته⁽²²⁾.

وقد بقي الناس في القرن الهجري الأول يكتبون بدون تنقيط ولا تشكيل، فتشبه الحروف في الكلمة على القارئ فيصحفها، وبعد استعمال التنقيط والإعجام لم يتوقف التصحيف أيضاً: "لأنهم اغفلوا الاستقضاء في تنقيط الكلمة وإعجامها وقع التصحيف"⁽²³⁾.
قال بشار في هجاء بني زيد:

إِنَّ اللَّيْلَ غَطَّاهُمْ غَدَوًا تَحْتَ ظِلِّهِ وَأَثْوَاهُمْ مَسْحُورَةَ الْفَسَادِ⁽²⁴⁾

ولعل الصواب في الأولى (عدوا) بالعين المهملة، والمعنى جروا وسعوا في الفساد متسترين بظلمة الليل.

أما الثانية فهي (محسورة) بتقديم حرف (حاء) على حرف (السين)، "وامرأة حاسر، حسرت عنها درعها، وكل مكشوفة الرأس والذراعين حاسر"⁽²⁵⁾ أي كاشف.

وهنا يزداد معنى البيت وضوحاً، وتتألق صفة بشار في الطباق بين الليل وقد ستر بني زيد وغطّاهم وثياهم التي كشفوها وحسروها عنهم وهم ماضون في الريبة ومنهمكون في الفساد، وليس في كلمة مسحورة، المعنى المراد، وتصحيف مألوف يكثر النساخ من الوقوع فيه.

2/ التحريف: التحريف لغة: هو التغيير⁽²⁶⁾، وانحرف عنه وتحرف واحرورف أي: ما وعدل⁽²⁷⁾، والتحريف في القرآن والكلمة عن معناها، هي قرينة الشبه.

واصطلاحاً: هو تغيير الحرف عن شكله والكلمة عن معناها، كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه فوصفهم الله بفعلهم فقال تعالى: "يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ"⁽²⁸⁾.

وقد أحس القدماء ظهور هذا الضرب من التوهّم وأثره في حقول الدين والفكر واللغة والأدب، فانصرفوا إلى ضبط الكلام وتحديد مواضع التصحيف والتحريف فيه، فألفوا كتباً في ذلك ولو أنهم أخلطوا بين المصطلحين⁽²⁹⁾.

وقد شاع مصطلحا التصحيف والتحريف في الرسم العربي نتيجة لتشابه رسم بعض الحروف، وأن هذا يعدّ من أكثر صعوبات الكتابة العربية، وأعقد مشكلاتها، حيث نتج عن عدم التجانس والتلاؤم الهندسي في شكل الحروف وتشابه أكثرها والتي لا تمتاز إلا بالنقط كما هي الحال في رسم الحروف (ب/ت/ث) و(ج/ح/خ) و(د/ذ) و(ر/ز) فمثلا كيف يقرأ الرسم يقرأ : فيل، قتل، قيل.

ويقع التصحيف في الألفاظ والأسماء التي تتشابه في صورة الخط، فيصحفها عامة الناس ويغلط فيها الخاصة⁽³⁰⁾، ويقع التصحيف والتحريف في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والأمثال العربية، والأدب وأسماء الشعراء ووقائع العرب وأنسابها، من ذلك أن كثيرا من رواة الحديث رَوَوْا أَنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (تَحْتَمُوا بالعقيق)، وإذا كان العقيق اسم واد في المدينة المنورة، إذن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال: (تَحْيَمُوا بالعقيق)، وشَتَّان بين اللفظين وكذلك المعنيين⁽³¹⁾.

وهكذا يؤثر التصحيف والتحريف في الرسم العربي، بحيث يعتري التصحيف النقط والتحريف يصيب الشكل^(*).

12/ خلو الكتابة من الشكل: يعد تمثيل حركات الكلمات في مبانيها وتراكيبها وفي مواضعها من الإعراب في الجملة مشكلة قديمة اعترضت سبيل التقدم في اللغة العربية واحتلت مكانا بارزا في أبحاث اللغويين ردحا من الزمن⁽³²⁾.

ولهذا يتوجب على المعلم تشكيل الحروف كتابة وطباعة ضبطا للنقط. بما تمليه قواعد الإعراب⁽³³⁾. وهذا تجري القراءة على لسان المتعلم صحيحة وسليمة الأداء.

3- قواعد الإملاء العربي: تشتمل قواعد الإملاء⁽³⁴⁾ العربي على صعوبات تعوّق تعلم الكتابة العربية الصحيحة، وتتمظهر في الصور الآتية:

أ/ الحرف بين الصوت والرسم: يقتضي النظام المثالي للكتابة أن يكون رسم الحرف موافقا لصوته، غير أن هذا النظام صعب التحقيق، في الكتابة العربية وفي اللغات الأخرى، ففي الكتابة

العربية نجد كلمات زيدت فيها حروف لا تلفظ نحو (كتبوا) الألف تكتب ولا تلفظ وكذلك (عمرو) زيدت (الواو) لفظا لا نطقا وهو (الواو) الفارقة.

ما نجد كلمات تنتهي بألف لينة مثل (عصا) و(رمى) لا ندري كيف ترسم؟ ولو عدنا إلى القاعدة الإملائية لأضحى الأمر ميسورا.

ب/ ارتباط قواعد الإملاء بالنحو والصرف: إن ارتباط قواعد الإملاء بالنحو والصرف يعوق تعلّم الكتابة الصحيحة، ففي كتابة (عصا) ⁽³⁵⁾ و(رمى) أن أصل الأول (واو) والثاني (ياء)، كما أن (ما) توصل بـ(كل) إذا كانت شرطية مثل: كلما سافر رافقته، وتفصل (ما) عن (كل) إذا كانت اسم موصول بمعنى (الذي) مثل: كل ما تقول صحيح، ويمكن توضيح ذلك بأن (كلما) الموصولة الشرطية تحتاج إلى جواب بينها (كل، ما) المفصولة لا تحتاج وتعوض (ما) بـ(الذي) هكذا تمكن الفصل بينهما من خلال ربطهما بالقاعدة النحوية. وكذلك وصل (إن) بـ(ها) وفصلها عنها مثل: إنما الأمم الأخلاق، وإن ما قلت حق.

وكثيرا ما نجد المتعلم يخطئ في كتابة المضارع المعتل المجزوم في (لم يرمي) بدل (لم يرم) وههنا علامة الجزم حذف حرف العلة.

ج/ تشعب قواعد الإملاء وتعقدها: تشعب قواعد الإملاء العربي وتتعدد، من ذلك أن قواعد كتابة الهمزة مثلا معقدا ⁽³⁶⁾، لأن الحرف هذا يرد في أول الكلمة ووسطها وطرفها ولكل حالة من هذه الحالات قواعدا وقد تكون بعض القواعد موضع الخلاف، فـ(يقرؤون) مثلا ترسم على صور ثلاث، فمنهم من يرسمها على الألف (يقرأون) ومنهم من يرسمها على الواو (يقرؤون) ومنهم من يرسمها على السطر (يقرءون).

ومن الاختلافات المرسومة في الهمزة نجد كذلك: إن الهمزة المضمومة ترسم على (الواو) نحو: المكان هــو مريح، ولكنها غير ذلك في قولهم: وضوءك ضوؤك، ونحو قولهم: (لجأوا) ترسم على الألف كما ترسم على الواو، (لجؤوا)، هذا خلاف بين الباحثين في رسم الهمزة في بعض الألفاظ.

د/ اختلاف صور الحرف باختلاف موضعه في الكلمة: يعتري الكتابة العربية اختلاف أشكالها

باختلاف مواضعها، فهناك حروف تبقى على صورة واحدة، هي الصورة الأولى من ذلك: الدال (د) والذال (ذ) والراء (ر) والزاي (ز) والواو (و). وهناك حروف لكل منها صورتان؛ نحو: الباء (ب)⁽³⁷⁾ والتاء (ت) والثاء (ث) والجيم (ج) وأخواتها، والسين (س) والصاد (ص) والفاء (ف) والقاف (ق)... وهنا حروف لكل منها ثلاث صور؛ نحو: الكاف (ك) والميم (م)⁽³⁸⁾، وهناك حروف لها أربع صور وهي: العين (ع) والغين (غ) والهاء (هـ).

إن تغير صور الحروف بتغير موقعها من الكلمة يتطلب إجهاد المتعلم خلال عملية مباشرة الكتابة وخاصة الظاهرة الإملائية.

يرى الباحثون أن المتعلم أثناء تعلمه الكتابة يربط أمور بعضها ببعض: صورة المدرك والصوت الدال عليه والرمز المكتوب، فإذا جعلنا للحرف الواحد عدة صور، زدنا العملية تعقيدا، وصار تقدم المتعلم في الكتابة بطيئا إذا قارناه بتعلمه للغة أجنبية⁽³⁹⁾.

هـ/ اختلاف رسم المصحف: يختلف رسم المصحف الشريف في صورة كثيرة عن الرسم المعتاد، ذلك أن السلف الصالح حافظوا على رسم القرآن الكريم، تنزيها له عن أي تحريف وتعني كلمة رسم المصحف، طريقة كتابة كلمات القرآن في المصاحف وشكل ذلك الرسم ظاهرة اعتنى بها علماء القرآن، وكتاب المصاحف، وعدّ الرسم الركن الأعظم في إثبات القرآنية للقرآن⁽⁴⁰⁾، قال القسطلاني: "وأكثر رسوم المصاحف موافق لقواعد اللغة العربية، إلا أنه قد خرجت أشياء عنها، يجب علينا إتباع مرسومها والوقوف عند رسومها، فمنه ما عرف حكمه ومنها ما غاب عنا علمه"⁽⁴¹⁾.

وهكذا فإن العربية تطورت في كنف القرآن، فرعاها وحافظ على أسسها البارزة فبقيت لغة إعرابية اشتقاقية⁽⁴²⁾.

هذه هي إذن الصعوبات التي يواجهها المتعلمون وكذلك الباحثون في الكتابة العربية، ونرى أن أكثرها مبالغ فيه.

V- مقترحات لمعالجة المعوقات في الكتابة العربية: تتمايز الحروف المتشابهة في الرسم بالنقط

أو الإعجام، ومن هذه النماذج المقررة في البرنامج الدراسي حروف الحوض وهي: (الباء والتاء والتاء). ما يطرح ههنا تشابهها شكلا وتمايزها إعجاما. كيف يمكن إزالة اللبس؟ يمكن معالجة المسألة من خلال رسم الحروف المتشابهة بأشكالها، وتبين التمايز بوضع النقط.

كـ أولا: نقطة واحدة تحت (ب) واثنان فوق (ت) وثلاثة فوق (ث) وبمرور الوقت ترسخ عند المتعلم صحة الحرف ووضعيته في الكلمة^(*).

وهكذا يتمكن المتعلمون وبسرعة من حفظ الحروف وحسن رسمها وإدراك حقيقة الفروق بينها صوتا ورسمًا، فلماذا إلى أصولنا لتعليم الكتابة؟

كـ ثانيا: فيما يتعلق بخلو الكتابة من الشكل، فمع ضرورته وأهميته في تحديد صبغة الكلمة ومعناها، فإن تذليل الصعوبة يكمن في شكل الكلمات التي يؤثر الشكل في إيضاح معانيها، أو ما يسمى عند النحاة ظاهرة الإعراب.

ولهذا الغرض تبنت المجامع العربية شكل الكتب المدرسية جميعها، وبهذا تكون مشكلة الشكل محلولة ومنتهية.

كـ ثالثا: وأما مسألة الفرق بين صوت الحرف ورمسه، هذه المسألة تشترك فيها كثير من اللغات الأجنبية، فالكتابة لا تطابق في كثير من الأحيان النطق في جميع اللغات^(*) وتعليم اللغات يحتاج إلى التسليم بالظاهرة والاعتماد على التلقين في تعليمها.

كـ رابعا: وصل الحروف: إن وصل الحروف ليست بصعوبة، لأن من القواعد النفسية أن الإدراك للوحدات المتماثلة أسرع من إدراك الوحدات المتفرقة، ووصل الحروف في العربية داخل الكلمة الواحدة أسهل في التعليم من نظام اللغات الأجنبية التي توضع الحروف في كلماتها متجاورة ومستقلة، وأن نظام العربية في الوصل والفصل يحقق الإيجاز والجمال والانسجام.

كـ خامسا: ارتباط الإملاء بالنحو والصرف: تعدّ هذه المشكلة جوهرية، لذا نرى أن يؤجل تعليمها، أي أثر العوامل النحوية والصرفية في الرسم الإملائي إلى المرحلة المتوسطة حينما يتمكن المتعلم من إتقان مهارات الإملاء.

كـ سادسا: اختلاف الرسم المصحفي عن الرسم العادي: كثيراً ما ترد الآيات القرآنية في السياق الأدبي خلاف الرسم المعتاد، غير أن ذلك لا يعدّ عائقاً في تعلم الكتابة في الرسم القرآني، ويزول الاختلاف الممارسة والاطلاع.

يتبين لنا من خلال هذا العرض أن مشكلة الكتابة العربية مبالغ فيها، وأنها مشكلات في كل اللغات، وإزالة العوائق يتم عن طريق فعالية الطرائق البيداغوجية ودور المعلم فيها.

الهوامش:

-
- ¹ الحيوان 48/1.
 - ² لسان العرب - ابن منظور. خطط 139/4.
 - ³ أساس البلاغة - الرخشي. خطط 256/1.
 - ⁴ المقدمة - ابن خلدون.
 - ⁵ كتاب الحيوان 80-79/1.
 - ⁶ المقدمة 52/2.
 - ⁷ المقدمة 503/2.
 - ⁸ المصدر نفسه، 507/2.
 - ^{*} نرمي من وراء تعليم الخط في السنة الأولى الوقوف على مستوى تمكّن المتعلّم من قراءة ورسم حرف (الباء) مثلاً، مروراً بالخطوات:
 - 1- تسمية أشياء من محيط المتعلم تحتوي على حرف الباء بمختلف وضعياته.
 - 2- التدرج في رسم (الباء) عن طريق الإملاء بواسطة الألواح، متصلاً ومنفصلاً ومحرّكاً.
 - 3- قراءة حرف (الباء) من خلال التعرف عليه في إطار كلمة مع تلوين الحرف.
 - ⁹ أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، راتب قاسم عاشور، ص: 243، عالم الكتب الحديث، ط1/2009.
 - ¹⁰ تعليم الكتابة والقراءة لتلاميذ السنة الأولى، دليل المعلم، ص: 26. م.ت.و. الجزائر.
 - ^{*} يمكن اعتبار المتعلم بالقادر على القراءة إذا استطاع تحويل الرموز البصرية إلى أصوات على مستوى الأداء وتحويل الرموز إلى معان على مستوى الفهم، أي تحويل المكتوب إلى المنطوق والمنطوق إلى مفهوم (معنى)
 - ¹¹ الوثيقة المرفقة لمنهاج اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم الابتدائية، ص: 18.

* مفهوم الخط في التربية هو عملية تعليم الأفراد كيفية رسم الحروف حسب أبعادها ومقاييسها وتناسقها،

ومواصلة التمرين والتدريب لتجريد الكتابة وصولاً إلى الاتفاق والسرعة.

12 إنه من طبيعة الحروف العربية أنها مقسمة بحسب مجموعات شكلية نحو (ب-ت-ث) (ج-ح-خ) (د-ذ) (ر-ز) (س-ش) (ص-ض) (ع-غ) (ف-ق) وهكذا فهذا التقسيم بحسب التشكيل يسهل عملية حفظ الحروف وتعلمها بسرعة ينتظر في نهاية هذه المرحلة التحكم التام في رسم الحروف معزولة بأوضاعها أو في إطار كلمة، فمن خلال توزيع الحروف في الجدول يمكن على جملة من الخصائص للخط العربي، ما هي هذه الخصائص.

13 لسان العرب - عجم 69/9.

14 تاريخ الخط العربي وآدابه، محمد الطاهر الكردي، ص: 92.

15 السند التربوي: نص القراءة السنة الأولى من التعليم الابتدائي، ص: 31.

* وردت الجملة إسمية، مركبة من ثلاثة أسماء: المعلمة، قدام، الباب، يمكن تجسيد الصورة مادياً بحيث يمثلها المتعلم ويلمس عناصرها، وكل ما هو ملموس يرسخ في الذهن.

** وردت الجملة الثانية اسمية مبدوءة باسم إشارة واسم علم بلدي، وتحتوي كلمة (علم) على حرف الميم في طرفه، وكلما ذكر العلم تصور المتعلم ذلك وتمكن من إدراك حرف الميم في طرفه، هذا الأمر في مراحل التعليم الأولى.

16 ينظر: دليل المعلم في تعليم التعبير والكتابة سنة أولى، د.م.ج، ص: 60، 1982.

17 المرجع نفسه، ص: 60.

18 التراث المغاربي من المكتبة الظاهرية، دمشق، الموقف الأدبي، العدد 452، ص: 51.

19 دليل المعلم في اللغة العربية، ص: 12.

20 الصحاح الجوهري، صفح 705-، لسان العرب، صفح 291/7.

21 الصحاح الجوهري، صفح 705-، لسان العرب، صفح 291/7.

22 التنبيه على حدوث التصحيف، الأصفهاني، ص: 26.

23 التنبيه على وقوع التصحيف، ص: 28.

24 ديوان بشار، ص: 14، ط/القاهرة، 1957.

25 لسان العرب، حسر، 167/5.

26 القاموس المحيط، حرف 623/1 ولسان العرب، حرف 128/3.

27 الصحاح الجوهري، حرف 6 ولسان العرب 129/3.

28 سورة النساء الآية 45.

- 29 اعتمد السيوطي في المزهرة فصلاً سماه (معرفة التصحيف والتحريف أو ذكر عشرات الأمثلة من عشرات الكتب وسمى جميع التغيرات في تلك الأمثلة تصحيفاً، المزهرة، 105/1 وما بعدها.
- 30 منهج تحقيق النصوص ونشرها، نوري القيسي وسامي العناني، ص: 155.
- 31 التنبيه على حدوث التصحيف، الأصفهاني، ص: 35.
- * المراد تشكيل الحروف.
- 32 طريقة جديدة للتهجئة، عبد المجيد التاجي الفاروقي، دار الكتاب العربي، مصر.
- 33 دراسات في فقه اللغة، صبحي صالح، : 355.
- 34 هو علم يعرف به أصول رسم الحروف العربية من حيث تصويرها للمنطوق، لسان العرب، 190/3.
- 35 لسان العرب، عصا 248/9.
- 36 لسان العرب بالهمزة، المقدمة 6/1، أدب الكاتب ابن قتيبة، ص: 264.
- 37 علم الخطوط الرسوم، عفيف البهنسي، ص: 49، دار الشرق للنشر / 2004.
- 38 المرجع نفسه، ص: 53.
- 39 مقال: دعوى صعوبة الكتابة، نعيم رحيم العزاوي، مجلة المجمع، بغداد، ص: 26. والخط العربي جذوره وتطوره، إبراهيم ضمرة، مكتبة المنار، الأردن، 1988.
- 40 إرشاد الفحول، الشوكاني، ص: 75.
- 41 لطائف الإشارات، القسطلاني، الإعجاز القرآني في الرسم العثماني.
- 42 الإعجاز القرآني في الرسم العثماني، عبد المنعم كامل شعير، ص: 70.
- * كان التعليم صوتياً يقول المعلم: (الباء واحدة من تحت، والتاء اثنان من فوق والتاء ثلاثة من فوق والألف ما ينقط) وهكذا.
- * بخصوص وجود حروف في العربية لا تنطق، فالإنجليز يهملون نطق (w) في wrong- wrote – write-who.